

كان لديها شعور مشترك بالراحة والدفء . ولم ينقصها شيء . لقد انتهت من الطعام قبل قليل وجثمتا الى جانب بعضها في شمس الظهيرة الدافئة واخذتا تحلمان احلام النهار وتتسنان بهدوء انفاس الربيع المقبل تهب عليهما من الحقول القريبة .
كان بعض الاطفال بثيابهم الملونة يشيرون ضجة على السدة . والرجال والنساء في حركة مستمرة . وكانت اصوات تنبعث من الاكواخ والبساتين المشتبكة وراءها . وضجيج مثل ضجيج العيد يرتفع في الفضاء - ضجيج فقير بالمرح والسرور تسوده خيبة امل كالتي تسود اعياد الفقراء في كل مكان . ولكن لم يكن شيء من ذلك ليضير الصديقتين او ينتزعها من حلمهما الدافئ المنساب الى شواطئ مجهولة . كان الشعور بالامتلاء يغمر نفسيهما . وكانتا تنظران الى بعضها احياناً الى دوامات النهر الذي اضحى بلون الطين وارتفع حتى لامس حوافي الشاطئ . او تصغيان برهة الى ضجيج الاطفال وهدير النهر الثائر واصوات القاطنين في الاكواخ التي تسرب اليها الماء وغمر قاعها . ولكن لم يكن شيء من ذلك ليخرجها

من عالمها المنعزل القصي .
كانتا في مأمن من كل شيء . . .
تسنان بدفء الشمس والشعور اللذيذ بانها قريبتان من بعضها كل ذلك القرب . . . وتلوكان

تحت النخيل السامق احلام نهار جميل عابق بانفاس الربيع المقبل . في الليل كان هدير النهر الثائر يملأ الفضاء . ويطل عليهما - على السقيفة وعلى العائلة باجمعها - قمر شاحب يتسلل بين الغيوم . والرياح تصفر اغنية حزينة في رؤوس الاشجار . وتحت رذاذ الظلام الرمادي كانت تتحرك اشباح ومخاوف غريبة انتزعت منها دفء النهار وبقايا الاحلام المشعشة اللذيذة . فالتصقت الصديقتان ببعضهما تنشدان الدفء واخذتا تتأملان بصمت حزين وترسلان انفاسها الهادئة عبر الظلام .

وكانت حركة صاخبة عند الفجر . اشباح تضطرب هنا وهناك . والفانوس يتألق في يد احدهم . وقطرات كبيرة ثقيلة من المطر تنزل علي ظهرهما . واصوات الهلع والفرع في كل سقيفة . والهدير الجبار واين الريح المعولة في رؤوس الاشجار . كانت السماء قطعة واحدة سوداء . وكان وجه رب البيت يلتمع في ضوء الفانوس الأسخمي ، يأمر العيال بالرحيل . وتشتد الحركة

الصاخبة ونجرح الحمار اولاً متهادياً محملاً بالمتاع وتبعه الاسرة جميعها . . . وتخوض الصديقتان في الماء عندما تعبران الى العراء . ماء ثقيل ينزل من السماء . وماء تجمد الارض النشوى بالهدير المجنون . وتغرق الاكواخ . وتبقى منها هياكل من القصب والحصير وجملاميد الطين المنهازه . اشباه منازل . اشباه زرائب فارغة تعصف بها الريح . وتسير الصديقتان خافضتي الرأس . . . تتبعان الاسرة المشردة نحو ارض قد تكون بعد كل ذلك الغناء صلبة ثابتة في منجى من الفيضان .

لغظ كثير في العراء . وحركة لا تكاد تستقر . والشمس تنشر نسيجاً هزيلاً يتهافت على المتاع المبعثر فوق الارض . تراث رخيص لحيات كثيرة رخيصة . وماض مدلم يبدأ انطلاقه بمجهاد شاق وينتهي افقه عند هلال من خبز فطير . وموت في الحياة بطيء وموجة من البرد الطاغى ترعش جلد الارض . عند الظهيرة همد الضجيج وتفرق الافراد جماعات صغيرة - نقطاً ضئيلة مبلولة لاصقة بالارض . وبقيت الصديقتان وحدهما تحت نخلة مستوحدة عجفاء

تطل عبر الدهور بثبات غريب .
دائرة صغيرة من الارض هي كل ملكها الآن . ولم يعد اهلها يملكون شيئاً . كانوا على مقربة منها يلغظون

ويتشاجرون . وكان صوت رب الاسرة يدوي في العراء . وسعف النخلة يرسل حفيفاً متقطعاً وانياً يشيخ النعاس والاحلام الحزينة والذكر البائرة . وكان صوت رب الاسرة يدوي في العراء . وكان يبصق على الارض بجنون .

« لا ، لن اتنازل عن هذه الجبلية الحمراء .
انها تدر سطلين من الحليب كل يوم .
وحتى السوداء . . آه لو لم اكن في ضيق لما بعثتها .
خذها خذها انها كريمة الاصل كأختها الجبلية .
خذها انها فلذة مني . انها جزء من حياتي .
خمس سنين عشت معها ، آه طفلتاي . وهما صديقتان صديقتان .

لا تكادان لحظة تفترقان . كل يوم معا . . كل يوم منذ خمس سنين .
ويلى عليهما . بل ويلى على نفسي . ماذا اكون بعدهما ؟

الصديقتان

قصة هدية بقلم عبد الملك بوعرب

الى الأمل الذي لا يموت

ذكريك حافلة، كينبوع على بلدي، يمد
وصداك متصل النبري، وخطاك اكبر أن تبدي
في موطني تحيا، وفي عرق المدائن، والوريد

★

في كل نبض من حياتك، نابض قلب وليم
وبكل حرف من بيانك، ذائب حب جديد
فالأرض سيمفونية... في كل منطلق نشيد

★

لفتات وجهك هزة، في الموطن النائي البعيد
وهوض خطوتك الشديد نهوض إنسان شديد

★

حيث التجهد، دم يغنيننا، فيلنقت العبيد،
ورنين أحرار يهب - تقول بههل سكت الحديد؟
وجبين طفل، كالصباح امتد في الحقل المديد.

★

الطيبون هنا، أباد، من عطائك تستريد
أهبت، بالأمل الوري، فبكل ضلع منه عيد

★

لمحبتتي إياك، أصفيت الهوى وطني الشهيد.

نصوح فاخوري

حمص

اوه خذها خذها. خذ السوداء قبل ان انفجر كالمرأة بالبكاء
وكانت البقرة السوداء قد اخرجت لسانها الوردى العريض
واخذت تلحس به رقبة صديقها الحمراء، والجرء كانت تجتر
بالتذاذ هادىء ما التقطته من أعشاب في الصباح. وتأويل في
النسيج الفضي البارد الذي تدره الشمس الباهتة من عليائها.
واعلمها كانت تسترجع من ظلمات يافوخها العميق ذكريات جبل
شامخ غطي سفحه القديم بالجليد.

كانت السباح السوداء تحيطها من كل جانب. وذرات
الملح تقبس شيئاً من الشعاع الفضي الغارب وتلمع كالنجوم في
اخايد الطين النخين. والمساء ينمو دقيقة دقيقة. ويشيع في
السباح هوداً اشبه بالموث وشعوراً كئيباً بالفراغ تخلف عن
جلبة نهار لاغب طويل.

لقد ارتفع صوت اشبه بالنواح من وراء الصديقتين. وكان
رب الاسرة يشتم العيال وينهال عليهم بضرب شديد. ثم هدأ
كل شيء فجأة. وعادت النخلة ترسل اغانيها الشجية في الفضاء.
واسترسلت الصديقتان في احلامها المظلمة الحزينة. وهما تجتران
بهدهوء ما تناولتا اثناء النهار من طعام.

لقد جاء احدهم. كان يقرب منها. شبح قائم في الضوء
الرمادي. وكان هزياً ملثماً تلمع عيناه الصغيرتان بين اطواء
اللثام. وامتدت الى العقدة التي تربطها يد يابسة سمراء طوحت
بالجلب باعداد مقيت وضربت به على ظهر السوداء ضربتين
قاسيتين. ولم تكونا تدران كيف حدث كل ذلك. لقد
ارتفع نواح مخنوق من ورائها، ثم همد. وكان رب الاسرة
يصدق على الارض مجنق.

واذكرت الحمراء انها وحدها. بقيت وحدها في العراء.
وصديقتها السوداء تغيب وراء صاحبها في الافق البعيد -
نقطتان مظلمتان تتحركان في الافق البعيد. ولم تعد ترى شيئاً.
كان فراغ هائل يملأ نفسها. وداع خمس سنين من الحياة -
الحياة التي لن تعود. واشاحت برأسها عن الافق. وارتفع من
اعماقها المظلمة ثغاء أليم. ثغاء طويل حزين اخذ ينتشر في ظلمة
الليل فوق السباح الهامدة السوداء.

كانت النخلة العجفاء وحدها تطل بشتات فوق القفر
الجائع الزاخر بالموث البطيء. وترسل اغانيها الشجية عبر
الدهور.

عبد الملك نوري

بغداد